الأخرى، كالشعر مثلاً، الذي استجاب للواقع واستمد حرارته من حرارته، ولعب دوراً في شحن الوجدان الجماهيري وتحريكه. بينما ظلت الرواية عاجزة، في تلك المرحلة، عن اكتساب حضورها، كفن متميز له خصوصيته ودوره ومعناه.

وهكذا، استمر هذا العجز الى ما بعد عام ١٩٤٨، حتى صدرت رواية غسان كنفاني الأولى: «رجال في الشمس» عام ١٩٦٣، ثم «ما تبقى لكم» عام ١٩٦٦. وجاء الصوت الروائي الفلسطيني الآخر، من داخل الوطن المحتل، ومن خلال «سداسية الأيام الستة» لاميل حبيبي، هذا العمل الذي «جاء ليشير الى اسم كاتب فلسطيني متميز، والى عمل أدبي مثير للاهتمام» (ص ٣٧).

ويشير فاروق وادي الى أن العمل الأدبي الآخر الذي كرّس اميل حبيبي، «كعلامة متميزة في الرواية الفلسطينية، كان رواية الوقائع الغريبة في اختفاء سعيد أبي النحس المتشائل عام ١٩٧٤» (ص ٣٨).

أما العلامة الثالثة في الرواية الفلسطينية، فهو جبرا ابراهيم جبرا، وذلك من خلال رواياته: «السفينة»، و«صراخ في ليل طويل»، و«صيادون في الشارع الضيق»، و«البحث عن وليد مسعود»، عام ١٩٧٨، التي يعتبرها فاروق وادي أفضل أعمال جبرا، لأنها تبيّن قدرة الكاتب «على تحقيق التزاوج الفذّ بين تماسكه الفني والايديولوجي» (ص ٣٨).

وبعد هذه المقدمة التاريخية الهامة، يبدأ فاروق وادي بإفراد فصلٍ كاملٍ لكل من الروائيين الفلسطينيين الثلاثة: الشهيد غسان كنفاني: اميل حبيبي، وجبرا ابراهيم جبرا.

غسان كنفاني

يقدم فاروق وادي غسان كنفاني، من خلال أحاديث غسان ومقابلاته الصحافية، وفيها نجد في غسان، الكاتب المبدع، والسياسي المتطور ايديولوجياً، والذي انتقل من الفكر القومي الى الفكر الأممي، ثم رأي غسان في قصصه، وماذا تمثل فلسطين في أعماله؟ وهل تناولت قصصه الفرد الفلسطيني فقط، أم أنها ارتقت لدى تناوله لهذا الفرد، من خلال انسانيته، ذلك لأن غسان «كان يرى في فلسطين رمزاً انسانياً متكاملاً» (ص ٤٤).

ويعتبر الكاتب أن غسان كنفاني هو المبدع الذي استبق ذاته، ككاتب روائي، عنه كمناضل سياسي (ص ٤٤). وهذا ما يقوله غسان كنفاني عن نفسه، بعد مشاهدته لفيلم «رجال في الشمس» المأخوذ عن روايته التي حملت العنوان نفسه.

ثم يتناول فاروق وادي روايات غسان الأربع، التي نشرها قبل استشهاده، وهي: ١ ــ «رجال في الشمس» ٢ ــ «ما تبقى لكم» ٣ ــ «أم سعد» ٤ ــ «عائد الى حيفا». ويأتي فاروق على هذه الروايات، بايجاز مضامينها، وعما تحكي وتصف؛ ثم يعود فيتحدث عن الأعمال التي نشرت بعد استشهاد غسان وهي: «العاشق»: «رواية لم تكتمل»: «الأعمى والأطرش» و«برقوق نيسان».

ولدى الحديث عما تمّ من أعمال غسان، من قبل لجنة تخليد الشهيد، يسجل الكاتب ما يشبه الاعتراض، أو المعارضة ــ ان صح التعبير ــ على اللجنة التي صنّفت كتاب: «عن الرجال والبنادق»، كمجموعة قصصية قصيرة، «بينما قدم الكاتب عمله كعدد من اللوحات التي ترسم أفقاً أشرق فيه الرجال والبنادق» (ص ٥٠).

يقول فاروق وادي: «إن توحُّد اللوحات الموضوعي، والامتداد الزمني لأحداثها، ونمو الشخصيات داخلها، ساهم في تكوين رأي مغاير، نظر اليها كعمل روائي، أو كعملٍ لم يكتمل» (ص ٥٠). ويسجل فاروق اعتراضه الثاني على اللجنة، لأنها صنفت «أم سعد» ضمن النتاج الروائي، لأن هناك اجتهاداً آخر يرفض انتماءها مع «عن الرجال والبنادق» الى أحد الشكلين: القصة القصيرة، والرواية. ثم يجيء الاعتراض الثالث على استبعاد رواية: «من قتل ليلى الحايك» عن الأعمال الأدبية الكاملة للشهيد.

بعد هذه الاعتراضات جميعها، يعود فاروق وادي فيحلل أعمال غسان، تحليلاً جاداً، من حيث أنها التعبير الأصدق عن الأرض والإنسان الفلسطيني، في «رجال في الشمس» و«أم سعد»، من خلال الرمز، وكذلك في «العاشق»: حيث تتواطأ الأرض مع العاشق الفلسطيني» (ص ٥٤). وتغيب الأرض، في «الأعمى والأطرش»، لأنهما يسقطان في معضلة البحث عن الحلول الفردية لمشاكلهما الذاتية، فيتوسلان الغيب، وإرث سنوات الوهم الطويلة.

أما الأرض التي يتقمصها الإنسان